

تفسير البحر المحيط

@ 157 من شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّاهُ
يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَرْسَلْنَا نُؤْفِكُونِ { : لما استفهمهم عن أشياء
من صفات الله تعالى واعترفوا بها ، ثم أنكر عليهم صرفهم عن الحق وعبادة الله ، استفهمهم عن
شيء هو سبب العبادة : وهو إبداء الخلق ، وهم يسلمون ذلك . { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
مَّنْ خَلَقَ * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّاهُ { ثم أعاد الخلق وهم
منكرون ذلك ، لكنه عطفه على يسلمونه ليعلم أيهما سواء بالنسبة إلى قدرة الله ، وأن ذلك
لوضوحه وقيام برهانه ، قرن بما يسلمونه إذ لا يدفعه إلا مكابر ، إذ هو من الواضحات التي
لا يختلف في إمكانها العقلاء . وجاء الشرع بوجوبه ، فوجب اعتقاده . ولما كانوا لمكابرتهم
لا يقرون بذلك أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم) أن يجب فقال : قل الله يبدأ الخلق ثم
يعيده ، وأبرز الجواب في جملة مبتدأة مصرح بخبرها ، فعاد الخبر فيها مطابقاً لخبر اسم
الاستفهام ، وذلك تأكيد وتثبيت . ولما كان الاستفهام قبل هذا لا مندوحة لهم عن الاعتراف به
، جاءت الجملة محذوفاً منها أحد جزئها في قوله : فيقولون الله ، ولم يحتج إلى التأكيد
بتصريح خبرها . ومعنى تؤفكون تصرفون وتقلبون عن اتباع الحق . .

{ قُلِ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّاهُ يَهْدِي
لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ { : لما بين تعالى عجز
أصنامهم عن الإبداء والإعادة اللذين هما من أقوى أسباب القدرة وأعظم دلائل الألوهية ، بين
عجزهم عن هذا النوع من صفات الإله وهو الهداية إلى الحق وإلى مناهج الصواب ، وقد أعقب
الخلق بالهداية في القرآن في مواضع قال تعالى حكاية عن الكلیم : { قَالَ رَبِّ تُدَا
الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى { وقال : { الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى
* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى { فاستدل بالخلق والهداية على وجود الصانع ، وهما حالان
للجسد والروح . ولما كانت العقول يلحقها الاضطراب والغلط ، بيّن تعالى أنه لا يهديهما
إلا هو بخلاف أصنامهم ومعبوداتهم ، فإنه ما كان منها لا روح فيه جماد لا تأثير له ، وما
فيه روح فليس قادراً على الهداية ، بل الله تعالى هو الذي يهديه . وهدي تتعدى بنفسها
إلى اثنين ، وإلى الثاني بإلى وباللام . ويهدي إلى الحق حذف مفعوله الأول ، ولا يصح أن
يكون لازماً بمعنى يهتدي ، لأن مقابله إنما هو متعد ، وهو قوله قل : الله يهدي للحق أي
يهدي من يشاء إلى الحق . وقد أنكر المبرد ما قاله الكسائي والفراء وتبعهما الزمخشري من
أن يكون هدى بمعنى اهتدى ، وقال : لا نعرف هذا ، وأحق ليست أفعل تفضيل ، بل المعنى حقيق

بأن يتبع . ولما كانوا معتقدين أن شركاءهم تهدي إلى الحق ، ولا يسلمون حصر الهداية □
تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم) بأن يبادر بالجواب فقال : قل □ يهدي للحق ، ثم
عادل في السؤال بالهمزة وأم بين من هو حقيق بالاتباع ، ومن هو غير حقيق ، وجاء على
الأفصح الأكثر من فصل أم مما عطفت عليه بالخبر كقوله : { أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَدَّةُ
الْخُلْدِ } بخلاف قوله : { أَقَرِّيبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوَعَدُونَ } وسيأتي القول في
ترجيح الوصل هنا في موضعه إن شاء الله تعالى . .

وقرأ أهل المدينة : إلا ورشا أمن لا يهدي بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال ،
فجمعوا بين ساكنين . قال النحاس : لا يقدر أحد أن ينطق به . وقال المبرد : من رام هذا
لا بد أن يحرك حركة خفيفة ، وسيبويه يسمي هذا اختلاس الحركة . وقرأ أبو عمرو وقالون في
رواية كذلك : إلا أنه اختلس الحركة . وقرأ ابن عامر ، وابن كثير ، وورش ، وابن محيصن :
كذلك إلا أنهم فتحوا الهاء وأصله يهتدي ، فقلب حركة التاء إلى الهاء ، وأدغمت التاء في
الدال . وقرأ حفص ، ويعقوب ، والأعمش عن أبي بكر كذلك ، إلا أنهم كسروا الهاء لما اضطر
إلى الحركة حرّك بالكسر . قال أبو حاتم : هي لغة سفلى مضر . وقرأ أبو بكر في رواية
يحيى بن آدم كذلك ، إلا أنه كسر الياء . ونقل عن سيبويه أنه لا يجيز يهدي ، ويجيز تهدي
ونهدي وأهدى قال : لأن الكسرة في الياء تثقل . وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، ويحيى بن
وثاب ، والأعمش : يهدي مضارع هدى . قال الزمخشري : هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذي لا
يهدي ، أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره ، إلا أن يهديه □ . وقيل : معناه أم من لا
يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه ، إلا أن يهدي ، إلا أن ينقل أولاً يهتدي ، ولا يصح
منه الاهتداء إلا بنقلة □ تعالى من حاله إلى أن يجعله حيواناً مطلقاً فيهديه انتهى .
وتقدم إنكار المبرد ما قاله الكسائي والفراء وتبعهما الزمخشري : من أن هدى بمعنى
اهتدى . وقال أبو علي الفارسي : وصف الأصنام بأنها لا تهتدي إلا أن تهدي ، ونحن نجدها لا
نهتدي وإن هديت . فوجه ذلك أنه عامل في العبادة عنها معاملتهم في وصفها بأوصاف من يعقل
، وذلك مجاز وموجود في كثير من القرآن . وقال ابن عطية : والذي أقول إن قراءة حمزة
والكسائي يحتمل أن يكون المعنى أم من لا يهدي أحداً إلا أن يهدي ذلك الأحد بهداية من عند
□ ، وأما على غيرها من القراءات التي مقتضاها أم مَن لا يهتدي إلا أن يهدي فيتجه المعنى
على ما تقدم لأبي علي الفارسي ، وفيه تجوز كثير . ويحتمل أن يكون ما ذكر □ من تسبيح
الجمادات هو اهتداؤها . وقيل : ثم الكلام عند قوله : أم من لا يهدي أي لا يهدي غيره ، ثم
قال : إلا أن